Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ - نظام التشفير فى أولاد حارتنا

١ -١ منذ أن ابتدع العالم اللغوى السويسرى الكبير " فرديناند دى سوسيير " تصوره الجديد فى مطلع القرن الحالى عن " علم يدرس حياة العلاقات فى حضن الحياة الاجتماعية"، ليست اللغة بنظامها المركب الدقيق سوى مظهر له ، وأسماه علم الإشارات أو " السميولوجيا " ، وكان العالم الأمريكى " شارل بيرس " يبتكر فى نفس الوقت تقريبا تصوره الخاص للسيميوطيقا كما أطلق عليها ، بحيث تشمل طرق تكوين الشفرات الرامزة وكيفية حلها ، منذ حدث ذلك وقد تبين لناقدى الأدب أن المشكلة الأساسية فى اللغة الأدبية والفكر الثقافى الفنى أن الأديب يعمد إلى مادة مبذولة فى الحياة ، مستهلكة ومستخدمة لوظائف الاتصال اليومى ليقيم فى داخلها نظاما فنيا جديدا ، يعتمد شفرة موضوعية وجمالية وتقنية مخالفة لشفرة اللغة والثقافة المألوفة ومتراكبة فوقها فى نفس الوقت . ومن ثم فقد أصبح جهد الباحثين يتركز فى محاولة استخلاص قواعد هذا التشفير الأدبى ومعرفة كيفية تماسه وتخالفه مع شفرة اللغة العادية للإجابة على السؤال التالى : - كيف يمكن لهذه الأدوات اليومية أن تتحول بفعل التنظيم اللغوى الشعرى والوسائل التقنية إلى أعمال فنية متماسكة ذات أبنية دلالية ووظائف جمالية وفعالية تمثيلية جديدة ؟

ولعل هذه الفكرة نفسها التى كانت منشأ " السيميولوجيا " أن تهدينا إلى مفتاح التحليل النقدى لملحمة نجيب محفوظ الكبرى " أولاد حارتنا " خاصة لأننا إزاءها أمام مفارقة طريفة ، إذ تصدى للحكم عليها ومصادرتها قوم لا شأن لهم بالنقد ولا علم لهم بوسائله وأدواته ، وأخذا بالشبهة والظن وتحرجا فى قضايا الدين وادعاء للفهم والتحليل ، بينما أحجم معظم النقاد عن وظيفتهم الحقيقية إيثارا للسلامة وربما عجزا عن إثبات أمر أولى وبديهى : أننا أمام عمل فنى عظيم له قوانينه ونظمه الخاصة المستقلة . مهما كانت نوعية المادة الدينية الميتافيزيقية ، والأسطورية الشعبية التى يتكون منها ، وهى جزء من للغة التى يرتكز عليها العمل بكل ما حملته إلى الأجيال المختلفة من معانى وإشارات متداولة ، إلا أن المؤلف لا يعيد كتابتها ، ولا ينتج صيغة أخرى منها ، بل يقيم بدوره ، وبشكل منفصل عنها وموازٍ لها فى نفس الوقت كيانه الروائى الجديد الذى يستخدم بعض